

## الشخصية التراجيدية في رواية (وجوه في ذاكرة رجل ميت) لعبد شاکر ، قراءة تحليلية في مأساة الفعل والسمات

م.د. أحمد مجيد شاکر البصام  
جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

### الملخص:

تعرض هذا البحث إلى دراسة الشخصية التراجيدية أو المأساوية في رواية (وجوه في ذاكرة رجل ميت) للروائي العراقي عبد شاکر ، إذ بُنيت هذه الرواية على هذا النمط من الشخصية التي صارت محوراً لأحداثها ، قُسم البحث على مبحثين : الأول كان في الفعل المأساوي ، وتعرضت فيه إلى التأمل المأسوي والصراع ، وفعل القتل ، والتحول المفاجئ للأقدار ، والنهاية المأساوية للبطل ، أما المبحث الثاني فكان عرضاً لأهم سمات الشخصية المأساوية ومزاياها ، مثل الحزن والخوف والاغتراب والشك والهزيمة ، وقد بدأ البحث بتمهيد مقتضب عن العلاقة بين الرواية والتراجيديا ، وأختتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها .

### المقدمة :

إن أهمية المأساة ناتجة من أمرين : الأمر الأول هو ارتباطها -بشكل دائم- بالشخصية التي تُعد العنصر الأول والأهم في أية تجربة سردية ، فهي أساس العمل ، إذ تدور حولها الأحداث وهي مصدر الرؤى ، أما الأمر الثاني فيتمثل في علاقات التراجيديا ، إذ تمتد علاقاتها إلى أغلب الفنون الإنسانية ، ابتداءً بالأساطير ومروراً بالشعر والقصة والرواية والمسرح وانتهاءً بالسينما .

من هنا تولدت في نفسي الرغبة الملحة على الخوض في غمار هذه الثيمة المهمة ، وما زاد في هذه الرغبة هو قراءتي لرواية (وجوه في ذاكرة رجل ميت) للروائي العراقي عبد شاكر ، إذ تجسدت في هذه الرواية الشخصية التراجيدية بحذافيرها ، إذ جاءت شخصية الراوي (البطل) مكتملة المأساة مع وضوح الرؤى والأفكار ، ولقد تقسم البحث على مبحثين : الأول كان في الفعل المأساوي ، وتعرضت فيه إلى التأمل المأسوي والصراع ، وفعل القتل ، والتحول المفاجئ للأقدار ، والنهاية المأساوية للبطل ، أما المبحث الثاني فكان عرض لأهم سمات الشخصية المأساوية ومزاياها ، مثل الحزن والخوف والاغتراب والشك والهزيمة ، وقد بدأ البحث بتمهيد مقتضب عن العلاقة بين الرواية والتراجيدية ، وأختتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها ، وإنني في هذا البحث لا أدعي الكمال ؛ لأن الكمال لله وحده ، وحسبي فيه جدية المحاولة في إمطة اللثام عن هذا الموضوع ، وأرجو أن يكون له دور في الفائدة العلمية والبحثية لمن يقرأه .

الباحث

### التمهيد : العلاقة بين الرواية والتراجيديا :

إن فلسفة المأساة الحديثة بشكل عام وتمثلها في الأدب بشكل خاص تتلخص " في مقاومة قوة إنسانية ذات أبعاد متناهية العظم لقوة أعلى منها وأشد قوة ، وهكذا ينتهي البطل إلى مصيره المحتوم بسبب هذا الضعف..."<sup>(١)</sup> ، هذا الفهم يفرض بشكل قطعي ارتباط المأساة بالشخصية التراجيدية في أية تجربة أدبية ، وهذا ما يفسر الأهمية الكبرى التي تحصلت عليها هذه الشخصية ، حتى صارت الأعمال المأساوية في أغلب تلك التجارب تُسمى باسمها " مثل أوديب وميديا في المأساة اليونانية ، وهاملت ولير وعطيل وماكبث من مآسي شكسبير...والبطل هو الذي يخلع على المأساة أهميتها وتشيع فيها نغمتها..."<sup>(٢)</sup> ، ولما كانت الشخصية هي عماد أية تجربة روائية صار هذا تفسيراً لتقدم الرواية في ملامستها لموضوع المأساة على أغلب الفنون الأدبية وحتى المسرح ، ناهيك عن الحالة النفسية للشخصية التي تتجلى أكثر في

الرواية من بين الفنون الأخرى ، في حين أن المسرح يعرض لهذه الحالات بشكل سريع من دون توقف عندها<sup>(٣)</sup> ، لهذا السبب ذهب غير واحد من نقاد الرواية إلى " أن المأساة الحقيقية في أيامنا يمكن أن نجدها في الرواية فحسب ؛ لأن نمطية الدراما تكتب إحساسنا الكامل بالكارثة...الرواية تعطينا إحساساً صحيحاً بالإنسان في مواجهة كاملة مع الكون "<sup>(٤)</sup> ، بمعنى أن أنماط الأدب كلها لا يسعها شمول المأساة بشكل الذي تشمله الرواية ، وذلك لسعتها ووقوفها عند الحالات النفسية للشخصية وقفة الفاحص والمحلل<sup>(٥)</sup> ، لذلك تقدمت الرواية في ثيمة المأساة والتراجيدية على أشكال الأدب الأخر .

### المبحث الأول: الفعل المأساوي :

تتمثل ذروة أحداث الرواية التراجيدية في أغلب الأحيان في الفعل المأساوي ، ويرى أرسطو أن الفعل المأساوي قائم على امتزاج الخوف بالشفقة<sup>(٦)</sup> ، وإن الفعل المأساوي بعضه معنوي كالتأمل والصراع ، وآخر مادي كالقتل وغيره من الأفعال .

#### ١-التأمل المأساوي :

إن التأمل -بشكل عام- هو استغراق النظر والتفكير بترو وعمق فيما يتعلق بقضايا الإنسان والوجود<sup>(٧)</sup> ، ولهذا السبب صار التأمل عند أفلاطون يدل على " الديناميكية والإنتاج ، وهو بهذا المعنى يتضمن في باطنه القوة المحركة لمراتب الفيوضات ، فمن خلال التأمل صدر العقل ، ومن العقل صدرت النفس وتوالت مراتب الوجود..."<sup>(٨)</sup> ، أما التأمل المأساوي فهو وليد الكبت والتعسف والقهر ، إذ " يولد حين يجد المرء نفسه محاصراً ، أي حين يجد نفسه محجماً من جانب المجتمع..."<sup>(٩)</sup> ، ويحمل بنا القول إننا عددنا التأمل فعلاً ؛ لأنه يسهم في دفع عجلة الأحداث صوب التأزم ، فـ" عندما يتحدث الكاتب الدرامي عن الفعل فإنه لا يعني الضوضاء أو مجرد الحركة المادية بل يقصد التطور والنمو..."<sup>(١٠)</sup> ، فالفعل إذن هو ما يدفع أحداث الرواية إلى التأزم سواء أكان هذا الفعل حركة مادية ، أو حديثاً أو مجرد فكرة ، فلنقرأ هذا التأمل المأساوي الذي بثه الراوي " للصباحات رائحة قيقظ مغبر، يطر

ذرات ترابه الفاقع والمرتفع في الأجواء الملبدة بالأحقاد والغيوم التي سرعان ما تتناثر على واجهات دكاكين (الچينكو) التي تبيع الفقر وكراسي المقاهي التي تورث التبغ والسعال والبطالة... شوارع كثيرة ومتداخلة وموحشة تشبه ليل البعث الطويل ، ثمة عمال منهكون وقطعان بشرية تتجه صوب الساحات التي تورث الشقاء... غبار ثقيل يلف إيقاع الحياة التي تبدأ برتابة مودعة ليلها الحافل بالرعب والفسق ومخاوف القتل والإعدام ، عيون ودعت كوابيس ليلها الطويل مبتدئة رحلة كابوسها الثقيل الذي يدعى (الحياة)... الكل مصاب بصمم الإهمال ، العالم فسيح وفريد ، يطوي بين جنباته عالماً خفياً ومرعباً ، أتعب من السير اللا مجدي ، أدخل مقهى رخيصاً ، أتابع نقاشات الرواد المموجة أمام الطاولات الخشبية والأراجيل ، كانوا أكثر شبهاً بالدمى المحنطة ، يحيط بهم الدخان من كل جانب ، دمي ممزقة لا تحسن شيئاً سوى الثرثرة أو البكاء الصامت ، أجلس أمام الجميع ، أتخيلهم كما لو أن الحرب قد أحرقتهم جميعاً ، فحولتهم إلى هياكل عظمية متفحمة...<sup>(١١)</sup> ، جاء هذا التأمل المأساوي في بداية الرواية فكان بمثابة التقديم لهذه الشخصية المأساوية التي ترى العالم والحياة بنظرة سوداوية ، فالراوي قد خالف السائد والمشهور في نظرته للصباح ذي اللون المكفهر ، إذ اعتاد القارئ أن يكون الصباح أيقونة للأمل والتفاؤل بداية يوم جديد ، وهو يصف عالمه المعيش بأنه ممتلئ بالأحقاد والفقر والبطالة ، ويشبه الناس بالقطعان البشرية ؛ لأنها مسلوقة الإرادة وهي تسير في حياتها بلا هدى أو هدف ، ويرى أيضاً أن حياته هذه يلفها الرعب والخوف ، وهو بعد ذلك يصرح بسبب تأمله المأساوي هذا ، إذ يرى أن الحروب قد اجتاحت روحه وضميره وقتلت عنده الحاضر والمستقبل وتركته يعتاش على ذكرياته الماضية ، وبعد هذه التأملات المأساوية ينتقل بعفوية تامة إلى أرض الواقع متمثلاً بدخوله إلى (المقهى الرخيص) ، وهذه الانتقال لم يمنعه من الرجوع إلى التأمل المأساوي في رواد تلك المقهى ، إذ نعتهم بالدمى التي أحرقتها الحروب ، وهي مسلوقة الإرادة إلا من الثرثرة والبكاء . وبعد ذلك ينتقل الراوي في تأمله هذا من الشوارع والميادين إلى داخل بيوت مدينته

لينقل لنا تصوراته المأساوية عما يجري داخلها " في مدنا المكتظة بالناس والألم يلتصق الجميع بمحيطات الغرف الضيقة والقذرة داخل عذابات أمتار بيوتاتهم المنشطرة إلى أنصاف وأرباع محشورة ، يشاركونهم الجوع حلمات تعاستهم... ثمّة التباسات خطيرة لا يمكن تحقيق هويتها ، أشعر كما لو أنني محاط بدوامات تقود إلى الجنون أو الجحيم... لا أحد يملك خيارات أخرى ، ثمّة أسلاك شائكة ، وجدران إسفلتية ، وأرض ممتدة بموت الألغام ، كان الجميع يطيل التحدث بالمجهول والسيّاط ومصاييح المجنزرات القادمة من مدن الموت ، والحافلة بالمآسي " (١٢) ، ينقل لنا الراوي بتأمله المأساوي هذا حياة الناس في بيوتهم التي جعل مقياسها العذاب والجوع والفقر ، ومن ثمّ يصرّح بوعي تام بأنه محاط بأفكار وتأمّلات سوداوية سوف تقوده إلى الجنون والضياع ، وبعد ذلك يرجع سبب تأمله هذا إلى الحرب القادمة من (مدن الموت) ، وإن مثل هذا التأمل يعمّق المأساة في هذه الشخصية التراجيدية ، إذ أنه يرسم مستقبلاً بائساً بسبب حرب لم تأت أو تتحقق بعد .

ويلجأ الراوي إلى عقد مقارنة بين مجتمعه والمجتمعات المترفة ، إذ يقول : " ما زالت المدينة مكتظة بالأنفوس والأحزان ، بشوارعها المهملة وبيوتها القديمة ، تستقبل أبداً آلافاً من السيارات شبه المعطلة وهي تحمل ضحايا الروتين والانحطاط والبطالة ، كلاب جرباء وقطط هزيلة تدور في حركات مفرغة بين الأزبال ، كل شيء يفضي إلى الفراغ داخل مربعات الموت الذي لا يفضي إلا إلى الحرق والسحق ، بينما تقهقه سيدات المجتمعات المخملية ومترفات الطبقات الأثرى داخل الصالات المكيفة القريبة الشبه بالنعيم ، وهنّ يشربن الشاي المعطر ويقضمن قطع الحلوى الملونة ، وفي الليل يشربن بشراهة ، دخولاً في ليل السهر الأحمر " (١٣) ، فقد رسم الراوي مجتمعه وتأمله بتفاصيل دقيقة ، وقد عقد مقارنة قائمة على التأمل المأساوي بين مجتمعه هذا وتلك المجتمعات المترفة ، وقد أجاد حينما استعمل الأداة (بينما) إذ تدلّ تزامن الأحداث والواقع والحياة المعيشة في المجتمعين والبيئتين ، وهذا الوصف يعمّق الأثر في نفس المتلقي للبون الكبير بين هذين المجتمعين .

وقد وظّف الراوي حواسه وهو يرصد هذه المآسي في مجتمعه ، إذ يقول متأملاً : " إسفلت موشح بالدماء والصدید ، حزم من ضياء تعمي عيوني ، ألمح رجالاً ونساءً متشحين بالسود ، أسمع صراخاً وعويلاً ، أرى سلالاً وأكفناً ورقى وصوراً شيطانية وقطارات عسكرية تتجه صوب غفن المقابر القديمة ، أصاب بالدهشة والحيرة ، أنا لا أعرف إلى أين تسير هذه الجموع ؟ لا أعرف كيف أبصرت نفسي مكوماً داخل ذلك التابوت الفاقع ؟ لا أعرف لماذا يجب أن تسير هذه القطارات إلى محطة اللا أين.. أو صوب غفن المقابر؟ " (١٤) ، فالراوي وإن أعمت عينيه حزمة الضياء إلا أنه لمح الإسفلت الموشح بالدماء ، ورأى أيضاً رجالاً ونساءً متشحين بالسود ، ورأى أكفناً وقطارات تتجه صوب المقابر ، وفي ذات الوقت سمع عويلاً وبكاءً ، وقد اعتمد الراوي على اللون الأسود مستثمراً دلالات هذا اللون التي تدل -غالباً- على الموت والخوف من المجهول (١٥) ، ولاسيما ربطه بين اللباس الأسود والدم لينتج عن ذلك حمولات دلالية مشعة بمعاني الموت والعدم ، وإن اعتمد الراوي على حواسه بهذا القدر الكبير في اشتغاله هذا دلالة على وعيه التام في رصد المتغيرات التي طرأت على صعيد الأنا والآخر .

## ٢- الصراع المأساوي :

إن الصراع المأساوي أو التراجيدي على قدر كبير من الأهمية ؛ لأنه يتعرض إلى مشاكل خطيرة تمس حياة الفرد والمجتمع ، ويمتاز هذا الصراع بالعمق وقوة التأثير في الشخصية (١٦) ، وإن هذا الصراع الذي صار فعلاً مصاحباً للشخصية التراجيدية هو صراع غير متكافئ -عادةً- بين هذه الشخصية وبين السلطة والمجتمع (١٧) ، والصراع المأساوي للشخصية التراجيدية غالباً ما يكون مع القدر ، هذا القدر تحركه قوة خفية ، لذلك دائماً ما تنهزم هذه الشخصية في نهاية المطاف (١٨) ، وقد صرح الراوي في بداية الرواية بأنه سيعاني من صراعات طويلة لن تنتهي ، إذ يقول : " تتصارع في دواخلي رغبات شتى وعارمة ، أقلها الحقد... " (١٩) ، فهو يُخبر القارئ بما سيلقيه ويشهده من صراعات ستظل ملازمة له ، فمن الصراعات التي أثرت فيه تأثيراً بالغاً

هو حصوله على أول صدقة بعد خروجه من المعتقل ، إذ يقول : " شعرتُ بالعار والخلج ، اعتصرتُ الأوراق النقدية بحقد ، ولعنتُ الحياة ، لبرهة غير محسوبة من الزمن وجدتني أحتال وأفكر بالجريمة وشحذ المال ، ولكن على وجه السرعة قررت أن أجمد هذه الموهبة الطارئة إلى قرن قادم..."<sup>(٢٠)</sup> ، فإن هذا الصراع تردد فيه الراوي بين مأساتين هما : مأساة الفقر الذي سيدفع به إلى الاحتيال والتسول ، وبين انسحاق إنسانيته لاسيما وهو رجل مثقف ذو ماض مشرف ، ومن الصراعات الأخر التي ظلت ملازمة له هي هروبه من مجتمعه ومدينته ولكنه ينصدم في المجهول ، إذ يقول : " أنا السجين الذي اعتقلتني الساعات والأيام الطويلة داخل زنزانة رطبة وقذرة ، ثم أطلق سراحي...فكرتُ أن أهرب ، لكنني لم أكن أعرف الجهة التي سأقصدها فيما لو نجحت بالإفلات من قبضة هذه الجموع والوجوه الكثيرة والمختلفة التي تشيعني الآن حياً ، تذكرتُ أنني بالأمس فقط ألقيت بزوجتي وصغاري لفم الموت الوحشي، قاطعاً بذلك آخر المربعات والمكعبات التي يمكنني من خلالها الاختباء فيها من زيف العالم ووحشيته ، خرجتُ من التابوت هارباً، ارتطمت بوجوه وجموع الناس...لقد سرق الآخرون مني كل قضاياي المهمة ، شعرتُ بقسوة أن لا يخوض المرء ملحمة تحتّم باسمه فيما بعد "<sup>(٢١)</sup> ، فالراوي متردد يصارع الحاضر الأليم المتمثل بالفقر وفقد الأحبة والغربة والماضي الزاخر ، وهذا الصراع جعله متردداً بين الهروب من واقعه هذا ، ولكنه يُصرّح بأنه لا يعرف وجهة هذا الهروب ، وهذه إشارة على أنه سيظل في هذه الدوامة حتى النهاية ، وحينما يتجدد هذا الصراع في الرغبة بالهروب من مدينته يُصرّح بسبب هذا الصراع ، فلتأمل " أجسادنا المهشمة والمحترقة والذاوية والزاحفة فوق أراضي الهوموم بكسور وبتور الحروب التي خلفت فينا عاهات لا سبيل لشفائها ، ما زالت أرواحنا تبحث عن علاجات لانقصاماتها المتعاقبة ، وتتوق أبداً إلى عبق الماضي ، لا اعرف الجدوى من إطلاق سراحي ؟ فما أن تحقق ذلك ، حتى اعتقلتني روحي وحشرتني في زنزانة الذكريات...الصور عتيقة ، والوجوه كثيرة ، لكن التواريخ ثابتة ، الحانات مضطربة

، والنزول إلى أعلى أصبح غير ممكن ، أتخسس وجهي وأقيس مسافات الزيف ، أتساءل في دواخلي ما الجدوى من ارتياد المدن التي هجرتها المحبة ، وضاع فيها الأمان ؟...أدين الكل بتهمة انتزاع ملامح وجهي كرهاً...مازلت أدين الجميع بالتحجيم "(٢٢) ، فهو في هذه المرة يُصرّح بسبب هذا الصراع المأساوي الذي يدفعه للهروب من واقعه ومجتمعه ، إذ يرى أنه من غير المبرر البقاء في المدن التي هجرها الأهل والأحبة ، تلك المدن التي تحتضن الجلال ، وهو يصوّر الفوضى والاضطراب في بلده بتعبير مفارق بقوله (النزول إلى أعلى) للدلالة على أن هذا الاضطراب قد تسرب إلى داخله فاضطرب إدراكه وبالنتيجة اضطراب ما يصف .

### ٣-القتل والانتقام :

يُعد القتل فعلاً مهماً ملازماً للشخصية المأساوية ، ويتميز القتل الذي يحدث في الرواية التراجيدية عن غيره بأنه قتل غير مبرر في الغالب ويكون مفاجئاً ، فهو - وقتئذ- ردة فعل لظلم المجتمع والسلطة ، وقد صار هذا الفعل " بنية نجدها باقية على شكل ثيمة مركزية حتى في أشد المآسي تعقيداً ، وهنا يقيم الفعل الأصلي الذي يستثير الانتقام حركة مضادة تماثلها في القوة وتعاكسها في الاتجاه..."(٢٣) ، بمعنى أن هذا الفعل يفسّر حالة الانهيار التي وصلت إليها الشخصية نتيجة الظلم والاضطهاد الذي وصل إلى الذروة ، وما يقابل هذه الذروة هي الأفعال المتمثلة بالقتل ، وقد أطلق الإغريق مصطلح (هوبريس) على أفعال الاعتداء والقتل والانتقام ، وعدوها أفعالاً مهمة من أفعال الشخصية التراجيدية أو المأساوية(٢٤) ، ولقد كان القتل في الرواية -محل الدراسة- عبارة عن مجرد رغبة عابرة وخاطفة تعكس مدى تأزم الراوي ، أي من دون تحقيق فعل القتل ، فلنقرأ " كان الحزن والضجر ينتاباني ، وكنت أتوق لأن يخاطبني أحد الناس كي يزيح عني ذلك الشعور المتزايد بالانقراض ، كانت بي حاجة أن يلتفت إليّ الناس ، أبصرت طفلاً جميلاً وبرئاً ، فكرت أن أرمي بحسده تحت عجلات مركبة طويلة قادمة! كان يلعب ببراعة وهو يحمل بيده لعبة من خشب و(سيفون) صنعها بنفسه ، فكرت أن أبكي..."(٢٥) ، فباد هنا كيف



كانت فكرة القتل التي انتابت هذه الشخصية المأساوية مجرد ردة فعل لما تشعر به من تهميش وأسى وضيق ، والراوي يفصح عن مشاعره التي ولدت في نفسه هذه الرغبة في القتل ، إذ كان يتمنى أن يخاطبه الناس وهذا أقل ما يتمناه المرء ، بمعنى صار فعل القتل معادلاً موضوعياً لما تشعر به الشخصية من مشاعر سلبية ، فكأنها تريد أن تقول بأن ما تمر به من أحداث مأساوية لا يوازئها ويقابلها إلا فعل القتل ، وبالمعنى نفسه يبرز فعل القتل في موضع آخر ، إذ يقول : " لبرهة غير محسوبة من الزمن وجدتني أحتال وأفكر بالجريمة وشحد المال...إذ سيكون بمقدوري أن أرمي أحدهم بإطلاقة نارية خارقة بذات البساطة التي أرمي بها على أحدهم بتحية صباح أرق من الورد ، القتل بعد سنوات قطعاً سيكون سهلاً ورومانسياً ومجانياً أيضاً..."<sup>(٢٦)</sup> ، فالراوي هنا يستشرف مستقبله ويصور نفسه بأنه أصبح قاتلاً محترفاً صار عنده القتل بمثابة إلقاء التحية ، وفي هذا المعنى أيضاً إشارة إلى ضيق هذه الشخصية ووصول استيائها إلى ذروته .

#### ٤-التحول المفاجئ للأقدار :

إن التحول المفاجئ للأقدار من الأفعال المهمة التي تدفع بالأحداث صوب التأزم ، ويتمثل هذا الفعل في التغيير السريع وغير المتوقع لأحداث الرواية ومن دون أن تحسب الشخصية حساب هذا الأمر ، إذ يجري هذا الفعل في اتجاهين : كما يبدو للشخصية وكما يكون في الأمر الواقع<sup>(٢٧)</sup> ، ويختلف هذا الفعل في الرواية التراجيدية عن الروايات الأخر بأنه تحول نحو الأسوأ ، فهو تحول مرفوض دائماً ، لذا يكون هذا الفعل من أهم مولدات الإحباط ومسبباته لدى الشخصية المأساوية ، ولقد تعرض الراوي في روايتنا -محل البحث- إلى ثلاثة تحولات للأقدار : أولها حينما شارك في الانتفاضة ضد نظام البعث ، وبينما يمني نفسه بهزيمة هذا النظام والخلاص منه ، فإذا بالانتفاضة تفشل ويودع في المعتقل السياسي ، فلنقرأ " قام الأهالي بانتفاضة عفوية غير مخطط لها ، ووجدتني أشارك فيها بكل فطرتي ، شاركت الثوار والفقراء غضبهم...أحرقنا هبة النظام وصور وحشه الغبي الدموي...هناك شعرنا

أن أزمنة الحرية والخلاص آتية لا ريب ، لكننا لم ندرك أن "شياطين الأرض" سمحوا لطيران الطاغية بالتحليق فوق سماء المدن الثائرة ، صاباً حمم نيرانه على رؤوس الأبرياء والثوار ، ولدباباته بالتحرك صوب المدن الساقطة بأيدي الثوار ، بعد أن قطعت السلطات الجديدة الماء والكهرباء والغذاء عن الأهالي ، ومن ثم نجحوا بقطع إمدادات السلاح ، فيما العالم الغبي يقف متفرجاً على تلك المآسي المفجعة التي سببت بقتل وتشريد الآلاف عبر الصحارى ، وآلاف أخرى من ضحايا القتل المجاني والجماعي المجنون ، داخل السجون والأقنية والزنازين والمعتقلات التي أوجدها النظام الدكتاتوري على مشارف تلك المدن الصحراوية..."(٢٨) ، كان الراوي يتطلع لتغيير إيجابي للواقع السياسي في البلاد ، وكان يتأمل خيراً من هذه الثورة الجماهيرية وكان هذا بادياً في لغته التي بدأ بها سرد هذا الحدث ، إذ كانت لغة هادئة متزنة غير منفعة ، ولكننا نلاحظ توتر هذه اللغة حينما أيقن فشل تلك الانتفاضة ، وقد أدى هذا الفعل المأساوي دوراً مهماً في مجرى حياة هذه الشخصية التراجيدية ، إذ تحولت من شخصية طبيعية متزنة إلى شخصية مأساوية مشردة ومطاردة ومحل اتهام .

أما على الصعيد العاطفي فيتمثل هذا الفعل المأساوي بكشف حبيته (ياسمين) عن مشاعرها الحقيقية حياله ، فقد كشفت له أنها كانت تحبه حب البنت لأبيها ، وكان هذا الفعل بمثابة صدمة أدت إلى تحول مفاجئ وكبير للأقدار ، فنقرأ " ساد المكان جو من الارتباك ، قطعته ياسمين بالقول :

- هؤلاء الأيتام وأنا بحاجة إلى أب حنون ومتفهم .

نظرت إلي وإلى أختها الكبرى نجا وقالت بثقة :

- هل وصلت الفكرة؟!

أمام ذلك السؤال المفجع هتفت دواخلي بألم :

- نعم وصلت الفكرة ، لقد وضعتني في أقسى اختبار للمحبة...كنت أظنك عاشقة

لي ، فإذا بك تتمنين أن أكون أباً لك! هل أنا كبير في السن إلى هذا الحد يا ياسمين؟

يومها فقط قررت أن أضيف لسجل هزائمي وانكساراتي رقماً جديداً تكون فيه ياسمين مجرد ذكرى ليس إلا" (٢٩) ، فإن أثر هذا الحدث المفاجئ كان واضحاً في نفس الراوي ، إذ يصف سؤال ياسمين بـ (المفجع) ، وكيف كان يتألم في داخله ، ويقر بأن هذا الحدث قد غير مجرى حياته ؛ لأنه حدث هزمه وأدى إلى انكساره .

وعلى الصعيد العاطفي أيضاً فقد تحولت أقداره بشكل مفاجئ حينما كشفت له زوجته (السيدة نجاة) عن حقيقة مشاعرها ، فلتأمل اعترافها وصنيع هذا الفعل في نفس زوجها (الراوي) " عندما تأخذني بين ذراعيك أغفو وأحلم أنني أذوب بين ذراعيه أغلق عيني بقوة ، ولا أحاول فتحهما واترك لأفكاري الآثمة أن تستحضر الليالي التي جمعتني به ، وعندما أفتح عيني وأراك لحظة تحرقني الذروة ، أشعر باغتراب عنك جسداً وروحاً ، وأحاول أن استحضره في مخيلتي من جديد ، لحظتها يخامرني شعور بالاشتياق إليه ، وآخر بالإشفاق عليك...لم أملك إلا أن اجمع أشياءي وأنظر في عيون الجميع بحزن وأنصرف...صفقت الباب خلفي مشيعاً بنظرات كسيرة من نجاة وياسمين ، دون أن أسمع أي رجاء بالبقاء...على مشارف الهزائم الأخيرة ، وبعد أن أفجعتني حقائقنا المريعة ، هجرت كل شيء...عدت إلى غرفتي المؤجرة ، عش ذكرياتي المعطوبة ، كان الحر يضيق ذرعاً بنفسه ، وفوضى الوقائع تتناسل بينها لتلد الصراخ والضجر..." (٣٠) ، فبالوقت الذي كان يخطط فيه الراوي إلى الاستقرار وتكوين أسرة من خلال زواجه من (السيدة نجاة) ، حتى انكشفت الحقائق لتغير مجرى حياته ، إذ اعترفت زوجته (نجاة) بأنها كانت تتخيل زوجها المتوفى كلما قاربها ، وأنها تشعر بغربة عن روحه وجسده ، وبعد هذا الاعتراف يقر بأنه هُزم مرة أخرى ، وأن هذه الحقائق كانت بمثابة الفاجعة المريعة .

#### ٥-النهاية المأساوية للبطل :

تمثل هذه النهاية العلامة الفارقة للرواية المأساوية بشكل عام وللفعل المأساوي وبطله على وجه الخصوص ، وإن السمة البارزة لهذا الفعل المأساوي أن الشخصية التراجيدية تسعى جاهدة لبلوغ ضياعها وحنفها (٣١) ، لذا فإن المأساة لا تتحقق ما لم

تكن نهاية البطل نهاية مأساوية ، فإنه " لا بد من الهاوية في النهاية في جميع الحالات ، ولا مناص لكاتب التراجيديا من أن يشغل نفسه بكيفية وقوعها " (٣٢) ، ولقد تعددت أنماط النهاية المأساوية ، منها ضياع أحلام الشخصية وتلاشيها ، إذ تنصدم في نهاية المطاف حينما ترى أن ما وصلت إليه خلاف ما حلمت به (٣٣) ، فلنقرأ المناجاة التي أطلقها الراوي والتي تصور ضياع أحلامه وطموحاته " منذ قرون وأنا أطلق سراح الأسئلة والافتراضات دون أن يكون ليدي من فعل أو انعكاس ، لا هواتف أو رسائل ، لا أحلام أو كره أو محبة ، لا طعم لأذان أو غناء ، الممنوعات كبيرة وكثيرة وخرافية ، الكل يشمّ الروائح الكريهة الأخيرة ، لقد دُمرت الأوراق والأشياء بلعبة الحرب القذرة التي أحرقت كل تطلعاتنا ، أصبح الكدح شقاءً ، والشقاء امتيازاً ، الأرضفة رحيمة والشموس قاتلة فيما الفقر صديق ثقيل الظل " (٣٤) ، فهو يصور كيف أن الحرب قد أحرقت أحلامه وتطلعاته ولم تبق له إلا العناء والشقاء ، وإن هذه النهاية المأساوية المتمثلة بضياع الأحلام والتطلعات ناجمة عن القهر والتهميش والظلم الذي تمارسه المجتمعات والسلطات على حد سواء (٣٥) ، أما النمط الآخر من أنماط النهاية المأساوية هو (الموت) ، وهو أهم صور هذه النهاية وأكثرها مأساوية في أي عمل تراجيدي (٣٦) ، لذلك صارت النهاية المأساوية للبطل التراجيدي تتمثل في موته في أغلب التجارب التراجيدية القديمة منها والحديثة (٣٧) ، ولقد كان الراوي كثيراً ما يستشرف موته ويرسم ملامح نهايته المأساوية ، من هذه الاستشرافات بيان رغبته في الانتحار ، فلتأمل " ها أنا ذا أعود من جديد داخل بيت لفظني ذات صباح ثقيل ، ما زلت أتذكر الفكرة الجنونية التي جالت في خواطر رأسي المزحوم بالمتناقضات ، وأنا تحت تأثير لحظة جوع كافرة في أن يكون "السيانيد" وجبة إفطاري الشهية... " (٣٨) ، فالراوي يصور وصول إحباطه ويأسه حد الذروة ، لذا صار يفكر بتناول (السيانيد) لإنهاء حياته بهذه النهاية المأساوية ، وإن الانتحار يمثل صورة مهمة من صور الموت ؛ لأن الشخصية حينها تنهي حياتها بنفسها فإن هذا يدل على وصول تأزمها ومأساتها حد الذروة (٣٩) ، وفي موضع آخر يصور نفسه وهو

يرى هذا الموت بعينه ، إذ يقول : " أحقد بموتي ، وأشارك هذا الجليل المتأهب كل همومه وأبكي إذ أراه يقدم صاغراً إلى أحضان الاستسلام... الحب يتقهقر إلى الوراء مائة خطوة ، ويغتم كثيراً لموت الرغبات ، وأنا بروحي المعاقة أقطع مسافات الاغتراب الروحي عبر الفراغ ، موشحاً بالعوز والانكسار ، محاطاً بأحقاد الغرماء... ما زلتُ كما في كل يوم ، مرتدياً قميصي البالي ، اندحر مكسوراً وسط الشوارع التي تورثني الشيب والألم ، لم يعد ثمة شيء ذو جدوى ، الأشياء تفضي إلى نفسها ، العيش تفاهة ، والموت خلاص " <sup>(٤٠)</sup> ، فالراوي اتخذ من الموت معادلاً موضوعياً لحياته البائسة ، فهو يصارع الاغتراب والهزيمة ، لذلك عد الموت خلاصاً من حياته هذه ، وتتصاعد وتيرة هذه المشاعر إلى الحد الذي يصف فيه الموت وهو يعانقه ، إذ يقول : " أشعر باقترابي من الموت وباقترابه مني أكثر من أي وقت مضى ، أشعر بمعايشتي له داخل جدران تلك الزنازة التي انطفأ فيها كل شيء ، حتى أحسست في دواخلي بأنني جزء منها... " <sup>(٤١)</sup> ، وحينما تتصاعد وتيرة الأحداث وتتوجه صوب التأزم التام يصل معها شعور الراوي من دنو الموت منه أمراً أكثر تجلياً ، إذ يقول : " وجدتني أجلس متوتراً وسط وجوه أفراد عائلتي... انتبهت فجأة لغرابة الأشياء غير المألوفة التي أخذت تنتصب أمامي... لم اعد أعرف ما الذي يجري لي ، لقد تداخل عندي الواقع بالخيال... الأحياء والأموات اتحدا في مخيلتي ، هي ذي زوجتي الشهيدة وأولادها يقاسمونني المشهد دون أن أميز أكان ذلك واقعاً أم خيالاً... " <sup>(٤٢)</sup> ، فالراوي بدأ يشعر بوجوده وسط زوجته وأطفاله الذين قُتلوا ، وهو يُصرّح بأنه لا يدري إن كان ما يراه واقعاً أم خيالاً ، وقد اتخذ الراوي من هذا الحدث إيذاناً لنهايته المأساوية وموته وانتهاء الرواية ، وهذا ما حدث بالفعل ، فلنتأمل " أرخى الغروب ستائره على المقبرة ، وسيطر الظلام والصمت على أرجائها ، فيما ازدان المرقد المقدس بأنوار ساطعة تخلب القلب... كان وجه جدي أقدم الوجوه ، تلاه وجه أبي وأمي ، كانت وجوههم قديمة وحزينة ، تنظر إلي بجنو غريب... بكيت بحرقة وألم على الوجوه شبه المهشمة لزوجتي وصغاري... كانت

تسير نجاة بوجه واثق الملامح وهي تحتضن صغارها الحزاني ، اتجه الجميع صوب فرع جانبي من المقبرة ، وفي وسطه تماماً صاروا ينظرون إلي بحزن كبير ، ثم أخذوا يطلقون بكاءً مرّاً وصراخاً عظيماً... شعرت برعب كبير يدب في أوصالي ، تلفت ورائي لا شيء سوى الفراغ ، أعدت النظر إلى أمامي ، كان العالم كله مقبرة ممتدة ، وعلى أطرافها مرقد مقدس تحيط به الأنوار الساطعة من الجوانب... تجمدت الدماء في عروقي ، كفّ قلبي عن الخفقان ، كانوا يدخلون إلى قبر قديم ، تطلعت إلى شاهدة القبر ، جثوت على ركبتني من هول المفاجأة ، كانوا جميعاً يطلبون مني أن أعود إلى قبري" (٤٣) ، فالراوي يصور هنا نهايته المأساوية بحدث موته ودفنه ، وقد أجاد الراوي في هذا العرض بشكل لافت للنظر ؛ لأن الراوي في هذه الرواية هو راو مشارك ، وأنه من الصعب أن يسرد الراوي المشارك حدث موته للمتلقي ، ولكنه أجاد ببنية عالية حينما جعل هذا الحدث مبهماً ، فالقارئ سيقى متردداً فيه أهو واقع في اللحظة أم هو كابوس كباقي الكوايس التي مر بها الراوي ، ولكن يبدو لي أنه حدث وقع بالفعل بدليل تجمد الدماء في عروقه وتوقف نبضات قلبه وشاهد القبر زد على ذلك أن هذا الحدث مثل نهاية الرواية ، فإن هذه القرائن والمعطيات الدلالية تدل على حدوث هذا الفعل المأساوي وهذه النهاية المأساوية حدوثاً واقعياً في هذه الحكاية .

#### المبحث الثاني/ سمات الشخصية التراجيدية :

هناك سمات ومزايا عدة إذا ما اجتمعت في شخصية روائية صارت شخصية تراجيدية أو مأساوية ، وإن هذه الشخصية في أغلب التجارب الروائية تكون شخصية رئيسة لها الصدارة من بين الشخصيات الأخرى (٤٤) ، فهي -حيثئذ- الشخصية التي تقع عليها الأفعال المأساوية والتي تدور حولها أحداث الرواية ، ولعل أهم سمات الشخصية التراجيدية وأكثرها شيوعاً ما يأتي :

## ١- الحزن :

لما كانت الشخصية التراجيدية هي الشخصية التي تصارع الأفعال المأساوية صارت شخصية دائمة الحزن وتطنى عليها مشاعر الأسى والألم<sup>(٤٥)</sup> ، والراوي يصرح منذ الانطلاقة الأولى للرواية بهذه السمة التي ستظل ملازمة له ، إذ يقول : " كان الحزن والضجر يتتابانني ، وكنت أتوق لأن يخاطبني أحد الناس كي يزيح عني ذلك الشعور المتزايد بالانقراض ، كانت بي حاجة أن يلتفت إليّ الناس...فكرت أن أبكي...بصمت مثل دمية سلّبت منها براءتها ، فلم تعد تحسن شيئاً سوى الصمت المريب ، وإذ يقترب ليل الوحدة من المحيىء ، أعود أدراجي إلى أزقة مدينتنا المنسية وزقاقنا المهمل مفكراً بصوت عال ، مستنكراً الحروب والظلم والأزمة اللعينة...وما أن وصلت إلى زقاقي الموحش ، حتى توجهت صوب ظلام ورطوبة غرفتي المؤجرة...شعرت بالاختناق...وجدتني أربض فوق صخرة ملطخة بدماء قتلى حروب وزنا..."<sup>(٤٦)</sup> ، فهو قد حدد -سلفاً- سمته التي امتاز بها ، ومن ثم يبرر هذه المشاعر السلبية ، فهو يشعر بالوحدة والانقراض بعد أن قتلت عائلته ، وخوفه من البعثين الذين يطاردونه ، ناهيك عن أحزانه وقلقه بسبب الحرب القادمة ، لذلك فهو يقر بأنه يبكي بعد نوبات الحزن هذه (كدمية) ، وحينما تعتريه هذه المشاعر مرة أخرى نجد أن مسبباتها هي ذاتها ، فلتأمل " ما زلت أعبر أنهاراً جافة تطرح شقوقها روائح هموم لا تنجلي بعد أن كانت عبقة بروائح النرجس والبنفسج ، ليل موصل يخنق بعباءته السوداء أرصفة الانتظار الممل...تعتريني أحزان لها لون قاتم ، تمنحني بعضاً من كآبة وكثيراً من عبث واثنيات...أندلق على نفسي مثل كلب أجرب...ما زلت كما في كل يوم ، مرتدياً قميصي البالي ، اندحر مكسوراً وسط الشوارع التي تورثني الشيب والألم ، لم يعد ثمة شيء ذو جدوى ، الأشياء تفضي إلى نفسها ، العيش تفاهة..."<sup>(٤٧)</sup> ، فهو يرجع سبب هذا الحزن إلى الوحدة التي يعيشها ، وإلى البون الواسع بين الماضي والحاضر المعيش ، وقد وصف الراوي أحزانه بأن لها لوناً قائماً في دلالة على عمق أثرها في نفسه .

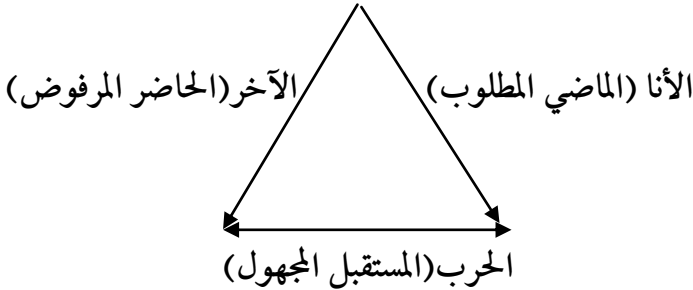


وفي موضع آخر تصف هذه الشخصية أحزانها ببلوغها حد الذروة ، فلنقرأ " لا أحد يكثرث بي إن قتلت أو انتحرت أو أصبت بلوثة عقلية ، لا أحد سيسألني عن أسباب اتجاهي صوب الغابة أو الصحراء ، لا أحد البتة! اللعنة ، كم هو حجم الحزن الذي يملكني الآن؟ عاجز أنا عن الالتحام بالصخر أو الماء أو السلالم المفضية إلى مملكتي الضيقة ، ما زلت متواصلاً مع الغرائبية واللاإنتماء ، أشعر بخواء وانفصام شنيعين ، وجدتني أدور في حلقات مفرغة من كل شيء ، لا تملك الرياح سبيلاً لاخترافي ، مقفل أنا من الخارج والداخل ، لبشرتي لون تبني يُذكر بشكل الموت البارد " (٤٨) ، إذ تركت هذه الأحزان الشخصية عاجزة عن أي فعل أو قرار حتى أنه بدأ يشعر باللا انتماء لأي شيء ، فقد وصف نفسه بأنه (مقفل من الخارج والداخل) ، ويلجأ إلى اللون مرة أخرى في تبيان حالته النفسية ، إذ يصف لون بشرته باللون التبني الذي يقترن -عادة- بالموت ، ويتكرر هذا الاستعمال اللوني مرة أخرى موظفاً إياه في وصف مشاعره السلبية التي اتسم بها ، فلنتأمل " أجلس وحيداً كما الغريب ، مطلاً على المدينة عبر الكوة الضيقة لأحزاني ، مسنداً ظهري إلى وساخة الجدران ، مقابلاً الريح المتربة ، فيما الزمن يرفل بالكآبة ، ومنبهات الصوت والإنذار صامته على غير المعتاد ، جوانب المدينة كلها مفتوحة على المفاجآت... الكل نائم ينتظر أحلاماً بلون القطران ، أجلس هناك ، معاقراً وحدتي ، مواجهاً الشوارع التي ارتدت لباس الصمت... " (٤٩) ، لقد أسقط الراوي أحزانه على المدينة بأسرها ، وهذا خلاف المعتاد ؛ لأننا اعتدنا على أن المدينة هي التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على الفرد ، وفي هذا إشارة مهمة على عمق هذه الأحزان المتوغلة في نفس الراوي ، ولا يكفي بذلك ، إذ عمد إلى إسقاط حزنه على المجتمع الذي وصف أحلامه بأنها ذات لون أسود ، وعرفنا -مسبقاً- أن للون الأسود دلالات عدة أهمها الضياع والموت والحزن (٥٠) ، لذا صار اتحاد بين الفرد والمجتمع والمدينة في مشاعر الحزن نفسها ، وهي مشاعر تأسى على الواقع المعيش بقدر ما تأسى على الماضي .

## ٢- الخوف :



تتماز الشخصية المأساوية بأنها شخصية خائفة قلقة في أغلب الأحيان ، وإن السبب في ذلك يرجع إلى شعور هذه الشخصية بأنها مستباحة ومستلبة<sup>(٥١)</sup> ، وإن هذه السمة السلبية على درجة من العمق حتى صارت تلقي بظلالها على القارئ في معظم التجارب التراجيدية<sup>(٥٢)</sup> ، هذا الخوف الملازم لهذه الشخصية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن ، إذ " أن آلام الماضي تؤثر على الحاضر فتجعله أشد وطأة على المستقبل فتجعله أكثر مدعاة للقلق "<sup>(٥٣)</sup> ، وهذا عينه ما صرح به الراوي في البداية الأولى من الرواية ، إذ يقول : " كنت وما زلت أشعر بأنني معبر صوب الماضي ، رأس يتمسك برتابة الحاضر ، وتوق مشوب بالخوف صوب المستقبل المجهول... "<sup>(٥٤)</sup> ، فإن ما أقر به الراوي هو نفسه ما تبناها الدكتور مصطفى حجازي في تحليله لمشاعر الخوف هذه ، فالراوي يصرح بأنه يستشعر عذوبة الماضي بقهر الحاضر ورتابته وهذا ما يولد في نفسه الخوف والقلق من المستقبل المجهول ، إن نظرة الراوي لهذه المشاعر وفلسفته لها تزداد عمقاً ودينامكية شيئاً فشيئاً كلما تقدمت أحداث حكايته ، فلتأمل قوله : " أنا والحرب والطغاة والخوف القادم ، ضحكت بمرارة وأنا أصرخ ملء فمي دون وعي مني... "<sup>(٥٥)</sup> ، إذ اتخذ الراوي من نفسه أيقونة للماضي الجميل الذي ما برح ذاكرته ، وجعل من الطغاة رمزاً للحاضر ، وأشار للمستقبل -مصدر الخوف- بالحرب المرتقبة ، هذا النص وإن كان مقتضباً إلا أنه مكتنز الدلالة ، إذ ترك القارئ ليحدد الإرادة التي سوف تنتصر في نهاية المطاف ، ولعل المخطط الآتي سيلخص هذا المعنى الذي تبنيه :



فإن الراوي حدد للمتلقي أطراف الصراع التي ستكون حاضرة في أحداث هذه الرواية ، و مده بالمعطيات اللازمة لبيان هذه النهاية ، فالقارئ اللبيب لا يتردد في أن هذه الشخصية التراجيدية هي الخاسرة في نهاية المطاف ؛ لأنها شخصية منكسرة مهزومة تتلبسها مشاعر الخوف تعيش الماضي فحسب فهي مسلوقة الإرادة تماماً .

### ٣-الاغتراب :

لما كانت المأساة ناتجة من المجتمع ، صار الاغتراب مزية لازمة للشخصية المأساوية ، إذ أن غياب الهدف والقوة تجعل من الفرد مغترباً في مجتمعه ، وبالتالي يشعر بعدم القدرة على التفاعل مع هذا المجتمع ، والمجتمع يجده غير ذي فائدة ، وعليه فإن " الظروف الاجتماعية حسب آراء ماركس هي التي تبعث شعور الاغتراب عند الفرد ، وهذه الظروف تتجلى في أنظمة وعمليات الإنتاج الاجتماعي " (٥٦) ، ومن هنا صار البطل المأساوي هو " المغترب الذي يعيش في وحدة موحشة ويشعر بالمرارة الاجتماعية ، الضائع والعاثر عن الحياة والمرعوب وفاقد الأمان...رافضاً للمجتمع ومرفوضاً منه في آن " (٥٧) ، هذا المعنى لمسناه من السطر الأول من الرواية ، إذ يصرح الراوي -ابتداءً- بمشاعره هذه حيال مدينته ، قائلاً : " أنا من مدينة ساكنة وموحشة ، لنهاراتها المملة لون العقارب ينتشر ضياؤها فوق سطوح البيوت المتعفنة بالقهر ، في أزقتها وساحتها الوسخة ثمة عواء منفر لكلاّب أضناها سهر الليالي...للصباحات رائحة قيظ مغبر ، يطر ذرات ترابه الفاقع والمرتفع في الأجواء الملبدة بالأحقاد والغيوم التي سرعان ما تتناثر على واجهات دكاكين (الچينكو) التي تبيع الفقر وكراسي المقاهي التي تورث التبغ والسعال والبطالة ، انتشر لون الشمس مكفهرأ فوق تضاريس الأرض ، فيما اختلط صفير الريح بصفير أسلاك أعمدة الكهرباء المعطلة ، الشوارع مزينة بصورة (الطاغية) وتلال الأزبال ، شوارع كثيرة ومتداخلة وموحشة تشبه ليل البعث الطويل...عيون مجهدة ، أكف خشنة ، سيقان متخشبة أتعبها الوهن ، أطلال منسية وإسلفت أسود يوشح واجهات البيوت التي أورمتها الأحزان...غبار ثقيل يلف إيقاع الحياة التي تبدأ برتابة مودعة ليلها الحافل بالربع

والفسق ومخاوف القتل والإعدام...أحرص على أن لا يروني أو يشخصوني لأنني حذر بطبعي ، لا أحب أن أكون واضحاً كدمعة فوق خد هذه المدينة الخاسرة والمسورة بمختلف الأسلحة والمواضع الشقية والترايبية المسكونة بالخوف والقلق" (٥٨) ، فالراوي بعد أن وصف مدينته وصفاً دقيقاً صرح بعدم انتمائه لهذه المدينة التي وصفها بـ(الخاسرة والمسورة...) ، وبعد ذلك يذكر سبب تنامي مشاعر الاغتراب هذه في داخله ، إذ يقول : " أنظر طويلاً في وجوه الناس المتعبة ، وجوه كثيرة وقلقة أرهقها التفكير الدائم بالجرب القادم ، أنظر طويلاً في تلك التقاطيع والملامح عسى أن أفوز بمصادفة وجه من الوجوه القديمة التي أتلّف لرؤيتها من جديد ، ما زلت مرتبطاً بغرابة بعملية تدقيق ملامح وتقاطيع وجوه الناس ، علني أمسك بدفة ما تعيدني إلى شواطئ الماضي...مسحتُ عن جبھتي المقطبة حبات العرق ، بكف مضطربة الأنامل ، وتسترتُ من نظرات قريبة لكهول وعجائز ، كانوا ينظرون إليّ بريّة واحتقار عبر نوافذهم المغلقة برداءة بالورق المقوّى ، فابتعدت عنهم مشيعاً بشتائمهم واستفزازات البعض منهم...هزّزت رأسي متأسفاً على أحوال الناس وسذاجاتهم" (٥٩) ، فهو يصرّح بأن الوجوه التي ألفها قد غابت من حياته ، وأن الوجوه المحيطة به وجوه غريبة متعبة وقلقة ، وهي وجوه تنظر إليه بنظرة دونية ملئها الاحتقار ، لذلك حاول أن يتوارى عن نظراتهم متأسفاً في الوقت نفسه على أحوال الناس المتردية ، هذه الأسباب مجتمعة جعلته يشعر بالاغتراب عن مدينته ومجتمعه ، وكلما تقدمت أحداث هذه الرواية زادت وتيرة مشاعر الاغتراب ، فلنقرأ " أشعر باغترابي عني ، بهذا الوجه الممطوط ببلاهة الذي اعرفه أكثر من أي وجه آخر...ما زالت المدينة مكتظة بالأنفوس والأحزان ، بشوارعها المهملة وبيوتها القديمة ، تستقبل أبداً آلافاً من السيارات شبه المعطلة ، وهي تحمل ضحايا الروتين والانحطاط والبطالة...كل شيء يفضي إلى الفراغ داخل مربعات الموت الذي لا يفضي إلا إلى الحرق والسحق...وفي المساءات الحزينة يأتي الرجال المتعبون من البيوت المنطفئة بالضجر ، رجال من المدن الفقيرة الملتصقة والملحقة ببعض ، جند ومثقفون ،

أصحاب عاهات ظاهرة وشحاذون ، أدباء وسياسيون ، مقاولون فاشلون ، كفوا جميعاً عن إعلان الحب لمدنهم التي لم تعد تنتمي إليهم ، لقد أصبحت مدناً لا تطاق...<sup>(٦٠)</sup> ، فإن مشاعر الاغتراب وصلت حد الذروة ، حتى أن الراوي بدأ يشعر باغترابه عن ذاته ، ويصور مجتمعه -بطبقاته كلها- بدأ يشعر بعدم الانتماء لهذه المدن ، وأن مشاعر الانتماء لهذه المدن صارت من ذكريات الماضي .

وتتنامي مشاعر الاغتراب عند الراوي حتى يصل إحساسه بأنه خارج هذه المدينة ، إذ يقول : " لحظات لعينة تسيطر على وجداني ، أقنع من خلالها أنني خارج القوس والدائرة ، لا أحد من هذه الوجوه الكثيرة يمنح حربي ضد الظلم معنى أو اسماً أو صفة ، لا أحد يكثر بي إن قتلت أو انتحرت أو أصبت بلوثة عقلية ، لا أحد سيسألني عن أسباب اتجاهي صوب الغابة أو الصحراء... ما زلت متواصلاً مع الغرائبية واللاإنتماء... ها هي عيون المارة تراقبني باستغراب... لمحت أحقاداً تنبعث من عيون المارة صوبي... هل يعقل أن هؤلاء الناس الذين أحبهم هم ذاتهم الذين يشكلون دوائر بؤسي؟ يا للخيبة "<sup>(٦١)</sup> ، فهو يشعر بأنه خارج هذه المدينة وهذا المجتمع ، وهو على يقين بأن لا أحد سيكثرث لأمره إن قُتل أو أصابه الجنون ، ثم ينقل لنا مشاعره وهو يرى الناس تسخر منه وتحقد عليه مما ولد في نفسه مشاعر الخيبة علاوة على مشاعر الاغتراب ، لذا يصف لنا مشاعر اغترابه عن مجتمعه ومدنته فيما بعد بنظرة فوقية أو علوية ، فلنتأمل هذا المعنى " ألقت المدينة نفسها مسورة بالقيود والأسلاك الشائكة وقسوة الحراب ، مفتوحة على هم أكيد ، بنهاراتها الرمادية المعطوبة ، وسواحل أحزانها الجافة ، وبواجهات محلاتها الملاء بالتماثيل الشمعية ، وشوارعها المسكونة بالوحدة المرعبة ، والمغلقة بصمت يشبه صمت الموتى... الشعراء والخنوة سكارى في متاهات المسافات البعيدة عن مدينتهم المكتظة ، بعض الناس نيام ، يحلمون ويفكرون بالجمال والخيانات الصغيرة والكبيرة لهذه المدينة التي تنتمي إلى وطن يقسو عليهم ، مدينة محنطة ، ورعب فرعوني ، حطام وفوضى... "<sup>(٦٢)</sup> ، فإذا ما قرأنا هذا الوصف قراءة متأنية نجد أن الراوي قد انسلخ كلياً من مجتمعه وانتمائه

لمدينته ، وهذا الاستنتاج جلي في قوله (وطن يقسو عليهم) ولم يقل (علينا) ، فهذا دليل يدعم فرضيتنا هذه بأن مشاعر الانتماء قد انتهت في وجدان الراوي وبدأ يشعر باغتراب عن مدينته ومجتمعه .

#### ٤-الشك والوساوس :

لقد اتسمت الشخصية التراجيدية بسيطرة مشاعر الشك والوساوس عليها ، وهذا ناتج مما منيت به من صراعات وأفعال مأساوية أطاحت بها<sup>(٦٣)</sup> ، وقد كشف الراوي عن حقيقة مشاعره السلبية هذه منذ البداية ، إذ يقول : " في وقت مبهم ومتأخر للغاية ، اكتشفت أنني رجل مخدوع بتخيلاته غير المنتهية ، ربما أنا لست أنا! ربما كنت ذلك الكلب الملتحف جدران الذلة ، أو ذاك الشحاذ الرث الثياب ، الذي يسير بمحاذاة الأرصفة المنسية بحثاً عن كسرة خبز ، كل شيء متداخل بالنسبة لي ، ها أنا ذا أقف متوتراً على مفارق الطرقات والأحداث ، محاطاً بأخبار الحرب والدمار والموت القادم"<sup>(٦٤)</sup> ، فهو يشك في نفسه ، وهذا أقصى درجات الشك ، وفي هذا إشارة إلى ضياع هذه الشخصية وترددتها وسيطرة مشاعر الشك عليها ، وهذا ما صرح به الراوي ، إذ يرى تداخل الأشياء كلها عنده ، وهو يقف في مفترقات الطرق ومحاطاً بأشكال الإحباط والموت كلها ، ويقول في موضع آخر : " وجدتني أربض فوق صخرة ملطخة بدماء قتلى حروب وزنا! وأفتح عيني بإجهاد كبير...دسست رأسي تحت مخدتي المزروعة بالوساوس ، وغشيتني نوبة من بكاء..."<sup>(٦٥)</sup> ، فالراوي يعبر تعبيراً بليغاً عن وساوسه ، إذ يصور وسادته بأنها مزروعة بالوساوس والشكوك التي أطاحت به حتى غشيت نوبة من البكاء تعبيراً عن مدى ألمه من هذه المشاعر التي تسيطر عليه ، ويصرح في موضع آخر بأن هذه الوسواس والشكوك قد هدّت قواه ، إذ يقول : " يهزني التعب وتدمرني الوسواس ، لتدوب في دواخلي كل الأشياء ، وإذاك يصبح لي ألف اسم لألف وجه"<sup>(٦٦)</sup> ، فهو يقر بأن مشاعر الشك أتعبتة وكانت سبباً في ضياعه حتى ذابت في داخله الأشياء كلها .

#### ٥-الهزيمة والانكسار :

إن الهزيمة والانكسار من المشاعر السلبية التي حملتها الشخصية التراجيدية حتى صارت سمة لازمة لها ، فهي شخصية سلبية عاجزة تفضل الهزيمة على مواجهة الواقع ومشاكله<sup>(٦٧)</sup> ، لذا صارت هذه الشخصية " في منتهى درجات اليأس والاستسلام ، إنها تتقبل إخفاقها بإذعان لا إنساني ، فليس هناك فعل مضاد..."<sup>(٦٨)</sup> ، وإنه بسبب حس الهزيمة " أصبح لدى الرواية العربية بطل منهزم نموذجي ، يمارس فعل السقوط في كل آن وتجاه أي مشكلة ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو حضارية أو حتى طبيعية "<sup>(٦٩)</sup> ، هذه المشاعر لا يخفيها الراوي بل ييوح بها في مواضع عدة من الرواية ، منها قوله : " الحب يتقهقر إلى الوراء مائة خطوة ، ويغتم كثيراً لموت الرغبات ، وأنا بروحي المعاقة أقطع مسافات الاغتراب الروحي عبر الفراغ ، موشحاً بالعوز والانكسار ، محاطاً بأحقاد الغرماء "<sup>(٧٠)</sup> ، فهو يُقر بانهمزاه أمام التحديات ، إذ يصف روحه بالمعاقة ، وهو محاط بأعدائه وأحقادهم ، ويقول في موضع آخر : " استسلمت صاغراً لعذوبة الألم...رائحة دمي سيطرت على جو الغرفة المشحون والمحزون بالكراهية والغضب ، أحسستُ أن لي هيئة خنزير مسلوخ...وجدتني ممدداً على بلاط غير صقيل وحصى مندى بأحجام مختلفة وقاسية ، كان جسدي بقايا جسد بشري تن في الجروح والشظايا بعذوبة ساخنة ، أشعر بروحي وقد تدلت من إناء جسدي المخسوف..."<sup>(٧١)</sup> ، فالراوي في هذا الموضع يعلن استسلامه واصفاً آلامه وصفاً مفارقاً بـ(عذوبة الألم) ، فكأنه على درجة من الاستسلام والهزيمة بدأ يشعر معها بعذوبة آلامه ، وكذلك يصف جراحه بالوصف نفسه (عذوبة ساخنة) ، فهو يريد إيصال رسالة للمتلقي بأنه ألف هذه الجراح والآلام ولا يفكر مجرد التفكير بالانتفاض عليها ومقاومتها ، فهو قد استسلم لها حتى صار يشعر بعذوبتها ، وفي محطات الرواية الأخيرة يعلن أنه بسبب هذه الهزائم والانكسارات سيهجر كل شيء ، فلنقرأ " على مشارف الهزائم الأخيرة ، وبعد أن أفجعتني حقائقنا المريعة ، هجرت كل شيء ، بيت ياسمين ، ذكرياتنا معاً ، عدت إلى غرفتي المؤجرة ، عش ذكرياتي المعطوبة ، كان الحريضيق ذرعاً بنفسه ، وفوضى

الوقائع تتناسل بينها لتلد الصراخ والضجر...<sup>(٧٢)</sup> ، فإن الراوي يُصرّح بأنه قد هجر كل شيء بسبب ما مُني به من هزائم وانكسارات ، وإنه لم يفكر مجرد التفكير بأن يقاوم هذه الحقائق ويسترد ما سلبته الأقدار ، إذ هجر أعز من يعرفهم (ياسمين) ، وهذا مؤداه أنه هجر الناس كلهم ، وفي هذا المعنى تتجلى في الرواية جدلية هذه السمة المأساوية .

#### الخاتمة :

توصل البحث إلى جملة من النتائج ، أهمها :

- ١-لقد مثل التأمل المأساوي المثال الأهم لمأساة الفعل ، وقد كانت تأملات الراوي كلها مأساوية ، وقد تعددت هذه التأملات ، إذ بثها الراوي مرة باتجاه المجتمع والسلطة ، وأخرى باتجاه الذات ، وكان يلمس فيها معاني الضياع والقهر والموت .
- ٢-لقد امتازت الصراعات المأساوية في هذه الرواية بالعمق والقوة ؛ لأنها كانت بالضد من قوة لا تقهر ، تتمثل هذه القوة بالمجتمع من جهة وبالسلطة من جهة أخرى ، لذلك صارت هذه الصراعات غير متكافئة .
- ٣-إن القتل من الأفعال المأساوية المهمة التي تفسر الحالة النفسية للشخصية التراجيدية ، وهي تمثل بالوقت نفسه ردة فعل حيال ما تواجهه من انتهاك وحيف ، وقد كان هذا الفعل المأساوي في هذه الرواية عبارة عن رغبة مجردة ، ولكن هذه الرغبة لم تُخرج هذا الفعل عن قصديته ودلالته سالفة الذكر .
- ٤-لقد تعددت التغيرات والتحويلات المفاجئة للأقدار التي أطاحت بالراوي ، فعلى الصعيد السياسي فشلت الثورة التي قام بها مع أهله ضد النظام ، وأودع على إثرها في المعتقل السياسي ومعها تغيرت مسيرة حياته كلياً ، وعلى الصعيد العاطفي مر بتجربتين فاشلتين غيرتا حياته جذرياً ، لذلك صار هذا الفعل المأساوي من أهم مولادات الإحباط في نفس هذه الشخصية التراجيدية .
- ٥-لقد تعددت أنماط النهاية المأساوية في هذه الرواية ، منها الضياع وتلاشي الأحلام ، ولكن يبقى الموت هو النمط الأهم والأبرز فيها ، إذ ظل الراوي يستشرف موته



باستمرار على طول خط سير الرواية ، إلى أن تحققت هذه النهاية بالفعل في ختام أحداثها .

٦- ونتيجة لما تقدم صارت الشخصية المأساوية تمتاز بأنها شخصية دائمة الحزن والخوف ، وذلك نتيجة لشعورها المتنامي بالاستباحة والضياع ، علاوة على المستقبل القادم الذي تراه أسوأ من الحاضر المعيش .

٧- علمنا في بادئ الأمر أن المأساة تتحقق من السلطة والمجتمع ، ونتيجة لهذه الفرضية صارت مشاعر الاغتراب واحدة من أهم السمات النفسية الملازمة للشخصية التراجيدية .

٨- ونظراً لتوالي الإحباطات والصراعات امتازت هذه الشخصية بالشك الدائم من الآخر ومن الأنا حتى ، ومن السمات التي صارت لازمة لهذه الشخصية أيضاً هي شعورها المستمر بالهزيمة والانكسار وعدم وقدرتها على مجابهة الواقع .

#### هوامش البحث :

(١) علم المسرحية ، الاردايس نيكول ، ترجمة دريني خشبة ، مكتبة الآداب ، القاهرة : ٢٢٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١٩ .

(٣) ظ : نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، وأوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة د. حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية ، مطبعة خالد طرايشي ، ١٩٧٢ : ٢٩٢ ، وينظر المأساة في الأدب ، صالح رزوقي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢ : ٦٥ .

(٤) موسوعة المصطلح النقدي ، كليفورد ليج ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ : ٢٣ .

(٥) ظ : الرواية الروسية في القرن التاسع عشر ، د. مكارم الغمري ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨١ : ١٢ .

- (٦) ظ : دراسة في نظرية الدراما الإغريقية ، د.محمد حمدي إبراهيم ، دار الثقافة العامة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ : ٢٨ ، وينظر : النص المسرحي ، دراسة تحليلية لأصول الكتابة المسرحية والتعريف بالمأساة الإغريقية ، شكري عبد الوهاب ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، ط٢ ، ٢٠٠١ : ١٥ .
- (٧) ظ : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجتمع ، إعداد مجمع اللغة العربية ، مطبعة التحرير ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٧ : ٦١٤ .
- (٨) التأمل والإبداع في فلسفة أفلاطون الجمالية ، د.ناهدة نصر الدين عزت ، مكتبة بستان المعرفة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ٦٨ .
- (٩) الوعي والفن ، دراسات في تاريخ الصورة الفنية ، غيورغي عاتشف ، ترجمة د.نوفل ينوف ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ : ١٩٢ .
- (١٠) الدراما بين النظرية والتطبيق ، حسن رامز ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢ : ٤٨٨ .
- (١١) وجوه في ذاكرة رجل ميت ، عبد شاكر ، إصدار مؤسسة السجناء السياسيين ، مؤسسة مصر مرتضى للنشر ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣ : ٧ - ٨ .
- (١٢) المصدر نفسه : ١٤ - ١٩ .
- (١٣) المصدر نفسه : ٢١ .
- (١٤) المصدر نفسه : ٣٤ - ٣٥ .
- (١٥) ظ : اللغة واللون ، د.أحمد مختار عمر ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢ : ١٨٦ .
- (١٦) ظ : النص المسرحي ، شكري عبد الوهاب : ١٨ .
- (١٧) ظ : المنتمي ، دراسة في أدب نجيب محفوظ ، غالي شكري دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٦٤ : ٧٦ .
- (١٨) ظ : المفهوم التراجيدي والدراما الحديثة ، فوزي فهمي أحمد ، المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ : ٣ .
- (١٩) وجوه في ذاكرة رجل ميت ، عبد شاكر : ٨ .
- (٢٠) المصدر نفسه : ٣٤ .

- (٢١) المصدر نفسه : ٣٥ .
- (٢٢) المصدر نفسه : ٤٢ .
- (٢٣) تشريح النقد ، محاولات أربع ، نور ثروب فراي ، ترجمة د.محمد عصفور ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩١ : ٢٦٩ .
- (٢٤) ظ : النص المسرحي ، شكري عبد الوهاب : ٢١ .
- (٢٥) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ١٠ .
- (٢٦) المصدر نفسه : ٣٤ .
- (٢٧) ظ : الكوميديا والتراجيديا ، مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش ، ترجمة د.علي أحمد محمود ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٩ : ١٧٧ .
- (٢٨) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ١٥ .
- (٢٩) المصدر نفسه : ٥٣ .
- (٣٠) المصدر نفسه : ٦٣ .
- (٣١) ظ : موسوعة المصطلح النقدي ، كليفورد ليچ : ٨٤ .
- (٣٢) الكوميديا والتراجيديا : ١٤٧ .
- (٣٣) ظ : البطل التراجيدي في المسرح العالمي ، رياض عصمت ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ : ٤٥ .
- (٣٤) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ٤٢ .
- (٣٥) ظ : المتمني ، غالي شكري : ١١٤ .
- (٣٦) ظ : عالم حنا مينا الروائي ، محمد كامل الخطيب ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ : ٢٧ .
- (٣٧) ظ : فن المسرحية ، فردب . ميليت ، وجبرالدايدس بتتلي ، ترجمة صدقي حطاب ، مراجعة د.محمد السمرة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٦ : ٣٨ .
- (٣٨) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ٢٠ .
- (٣٩) ظ : ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، فاروق وادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ : ١٦٣ .

- (٤٠) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ١٩ - ٢٢ .
- (٤١) المصدر نفسه : ٢٦ .
- (٤٢) المصدر نفسه : ٦٦ - ٦٧ .
- (٤٣) المصدر نفسه : ٧٤ .
- (٤٤) ظ : الكوميديا والتراجيديا ، مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش : ١٤١ .
- (٤٥) ظ : القلق والتوتر وأثرهما في الإبداع عند الأدباء ، د.علي الجسماني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ع١٨ ، ١٩٩٥ : ٢٤٢ .
- (٤٦) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ١٠ - ١٣ .
- (٤٧) المصدر نفسه : ١٩ - ٢٢ .
- (٤٨) المصدر نفسه : ٣٤ .
- (٤٩) المصدر نفسه : ٤٤ .
- (٥٠) ظ : اللغة واللون ، د.أحمد مختار عمر : ١٨٦ .
- (٥١) ظ : الصوت الآخر ، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ : ٨٥ .
- (٥٢) ظ : الكوميديا والتراجيديا : ١٥٨ .
- (٥٣) التخلف الاجتماعي في مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د.مصطفى حجازي ، منشورات معهد الانتماء العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦ : ٦٥ .
- (٥٤) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ١٠ .
- (٥٥) المصدر نفسه : ١١ .
- (٥٦) معجم علم الاجتماع ، دينكن ميشيل ، ترجمة د.إحسان محمد الحسن ، دار الرشيد للنشر ، ودار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠ : ٢٣ .
- (٥٧) انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، شكري عزيز ماضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ : ٩٧ .
- (٥٨) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ٧ .
- (٥٩) المصدر نفسه : ١٠ - ١١ .
- (٦٠) المصدر نفسه : ٢١ - ٢٢ .

- (٦١) المصدر نفسه : ٣٤ .
- (٦٢) المصدر نفسه : ٤١ .
- (٦٣) ظ : الكوميديا والتراجيديا : ١٤٢ .
- (٦٤) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ٨ .
- (٦٥) المصدر نفسه : ١٣ .
- (٦٦) المصدر نفسه : ٢١ .
- (٦٧) ظ : قراءات في الأدب والنقد ، د.شجاع العاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ : ١٨٧ .
- (٦٨) مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ : ٣٥ ، وينظر : البيئة في القصة ، وليد أبو بكر ، مجلة الأقلام ، بغداد ، ٧٤ ، ١٩٨٩ : ٦٥ .
- (٦٩) المأساة في الأدب ، د.صالح الرزوقي : ٦٩ .
- (٧٠) وجوه في ذاكرة رجل ميت : ٢٠ .
- (٧١) المصدر نفسه : ٢٤ .
- (٧٢) المصدر نفسه : ٦٥ .

### المصادر والمراجع :

- انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، شكري عزيز ماضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ .
- البطل التراجيدي في المسرح العالمي ، رياض عصمت ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ .
- البيئة في القصة ، وليد أبو بكر ، مجلة الأقلام ، بغداد ، ٧٤ ، ١٩٨٩ .
- التأمل والإبداع في فلسفة أفلاطون الجمالية ، د.ناهدة نصر الدين عزت ، مكتبة بستان المعرفة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
- التخلف الاجتماعي في مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، د.مصطفى حجازي ، منشورات معهد الانتماء العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦ .

- تشريح النقد ، محاولات أربع ، نور ثروب فراي ، ترجمة د. محمد عصفور ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩١ .
- ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، فاروق وادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .
- دراسة في نظرية الدراما الإغريقية ، د. محمد حمدي إبراهيم ، دار الثقافة العامة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- الدراما بين النظرية والتطبيق ، حسن رامز ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٢ .
- الرواية الروسية في القرن التاسع عشر ، د. مكارم الغمري ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨١ .
- الصوت الآخر ، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢ .
- عالم حنا مينا الروائي ، محمد كامل الخطيب ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ .
- علم المسرحية ، الاردائيس نيكول ، ترجمة دريني خشبة ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
- فن المسرحية ، فردب . ميليت ، وجبرالدايدس بنتلي ، ترجمة صدقي خطاب ، مراجعة د. محمد السمرة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- قراءات في الأدب والنقد ، د. شجاع العاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٠ .
- القلق والتوتر وأثرهما في الإبداع عند الأدباء ، د. علي الجسماني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ع١٨ ، ١٩٩٥ .
- الكوميديا والتراجيديا ، مولوين ميرشنت وكليفورد ليتش ، ترجمة د. علي أحمد محمود ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٧٩ .
- اللغة واللون ، د. أحمد مختار عمر ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٢ .
- المأساة في الأدب ، صالح رزوقي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢ .

- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجتمع ، إعداد مجمع اللغة العربية ، مطبعة التحرير ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٧ .
- مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧ .
- معجم علم الاجتماع ، دينكن ميشيل ، ترجمة د.إحسان محمد الحسن ، دار الرشيد للنشر ، ودار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠ .
- المفهوم التراجيدي والدراما الحديثة ، فوزي فهمي أحمد ، المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- المنتمي ، دراسة في أدب نجيب محفوظ ، غالي شكري دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٦٤ .
- موسوعة المصطلح النقدي ، كليفورد ليج ، ترجمة د.عبد الواحد لؤلؤة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- النص المسرحي ، دراسة تحليلية لأصول الكتابة المسرحية والتعريف بالمأساة الإغريقية ، شكري عبد الوهاب ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، ط٢ ، ٢٠٠١ .
- نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، وأوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة د.حسام الخطيب ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، مطبعة خالد طرايشي ، ١٩٧٢ .
- وجوه في ذاكرة رجل ميت ، عبد شاكر ، إصدار مؤسسة السجناء السياسيين ، مؤسسة مصر مرتضى للنشر ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- الوعي والفن ، دراسات في تاريخ الصورة الفنية ، غيورغي عاتشف ، ترجمة د.نوفل ينوف ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ .